دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات لغوية : اقتصادات اللغات - منظور لغوي للواقع السياسي
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	الرماني، زيد بن محمد بن دحيم
مؤلفين آخرين:	أبو فرحة، جمال الحسيني(م. مشارك)
المجلد/العدد:	س 40, ع 456
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2003
الشهر:	أكتوبر / شعبان
الصفحات:	62 - 63
رقم MD:	445410
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	اقتصاديات اللغات، النحو، الصفة و الموصوف، المعرفة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/445410

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسات لغوية

اقتصادات اللغات

بقلم: د. زيد محمد الرماني . عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

اللغة أداة قبل كل شيء، فهي ليست قيمة، وإنما تنطوي على قيمة، وامتلاك لغة مثل امتلاك النقود الذي ينطوي على إمكان توسيع مجال الفعل لدى الأفراد، ومن ثمَّ ينطوي على إمكان إغنائهم، ومع ذلك فإن التحقق من المعايير التي تحدِّد قيمة لغة معينة ليس مهمة سهلة.

إن كل دارس لمسألة قيمة السلع يواجهه معنى اقتصادي مزدوج لهذا المفهوم، أي قيمة الشيء الاستعمالية وقيمته التبادلية، وعلماء الاقتصاد قد أثار اهتمامهم طويلاً حقيقة وجود فارق ملحوظ بين القيمتين، حيث إن الأشياء ذات القيمة الاستعمالية الكبيرة كالماء مثلاً، يكون لها قيمة تبادلية ضئيلة بينما الأشياء ذات القيمة الاستعمالية الضئيلة كالأحجار الكريمة تكون ذات قيمة تبادلية عالية.

وبسبب هذه العلاقة يكون من الصعب أن نستنتج بسهولة القيمة التبادلية من القيمة الاستعمالية.

وفضلاً عن ذلك فإن محاولات ربط هاتين القيمتين المختلفتين تماماً بشكل واضح إحداهما بالأخرى، قد حجبت لزمن طويل حقيقة أنهما لا تؤلفان في الواقع فئتين محددتين بشكل قاطع، فالأطعمة - مثلاً، تستعمل أساساً لإشباع حاجات أساسية، ولكنها في بعض المجتمعات تكون لها خصائص الأشياء القيمة الغريبة.

والواقع أن هذه العلاقة المتفاوتة بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية لا يمكن تفسيرها من دون أدوات مفاهيمية أكثر دقة، ويمكننا هنا أن نأخذ إحدى الأفكار الأساسية للاقتصاد الجزئي، وهي فكرة المنفعة الهامشية.

وهذه الفكرة تقول: إن قيمة السلعة تتحدد بمنفعتها الدنيا للمستهلكين الرشداء، أي هؤلاء الذين تكون سلعة معينة بالنسبة لهم ذات قيمة عظمى، ولكنهم لا يدفعون ثمناً لهذه السلعة أكثر مما يدفع أولئك الذين تكون السلعة بالنسبة لهم ذات قيمة دنيا، وهذا

منظور لغوي للواقع السياسي

بقلم: د. جمال الحسيني أبوفرحة
مدرس علم الكلام ومقارنة الأديان. جامعة قناة السويس

لا شك أن اللغة مرآة للفكر، فنحن لمجرد سماعنا لشخص يتكلم يمكننا أن نحدد لدرجة كبيرة بلده، ونتعرف إلى خلفيته الثقافية والعقدية، بل إلى أحواله الصحية والنفسية إلى حد كبير، ومن هنا قال سقراط قولته الشهيرة: «يا هذا تكلم حتى أرى من أنت».

وإذا كان هذا الأمر مشاهداً منَّا جميعاً، ولا يمكننا إنكاره فإني أزعم أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أن كل لغة إنما تعبِّر عن خلفيات كثيرة لكل أبنائها، خلفيات اجتماعية وثقافية ودينية... إلخ.

وعليه، فإذا أردنا أن نفهم الغرب جيداً، وخصوصاً في هذه المرحلة التي كشف لنا فيها عن وجهه القبيح، فلابد أن نتوقف أمام لغته لنكتشف حقيقة ما يقبع تحت هذا الستار اللفظي من أفكار وتصورات وخصائص لابد لنا من معرفتها.

وأكتفي في هذا المقام بالتمثيل لما قصدت بكلمتين وبقاعدة لغوية في الإنكليزية. أما الكلمتان فهما كلمة يهودي JEW وكلمة PHILISTINE، وأما القاعدة فهي تقديم الصفة على الموصوف.

وأول ما نلاحظه على هذه الكلمة JEW أنها لا تدل في اللغة الإنكليزية على اليهودي وحسب، بل لها معان أخرى.

يقول معجم الياس: JEW: يهودي، إسرائيلي، غش، ضحك على.

ويجعل معجم OXFORD من معاني كلمة: JEW: CHEAT, OFFENSIVE, GRASPING PERSON.... إلخ.

وكلمة (OFFENSIVE) تعني: مهاجم، مزعج، مسيء، مؤذ للشعور، ناب، منفر، خبيث، كريه، سمج، يحدث اشمئزازاً.

وكلمة (GRASPING) تعني: جشع، طماع.

وكلمة (CHEAT) تعني: مخادع، غشاش، محتال.

وهذا الربط اللغوي بين كلمة يهودي وهذه المعاني لا شك يعبِّر عن صورة ذهنية لليهودي في الفكر الإنكليزي مرتبطة بهذه المعاني. وهي صورة لا شك سيئة، وهي لا تعبر عن رأي فرد، بل عن رأي أمة، ولا تعبر عن رأي عصر محدود، بل عن تاريخ طويل - لابد منه - لتكتسب الكلمات معانيها المعجمية الجديدة.

على أن هذا الذي تضع اللغة يدنا عليه في دقيقة، يؤكده تاريخ الأدب الإنكليزي: شعر، مسرح، رواية... إلخ، وليس أشهر في الدلالة على هذه المعاني من مسرحية «تاجر البندقية» لـ«شكسبير»، ومسرحية «يهودي مالطة» لـ«كرستوفر مارلو»... إلخ.

ولكن لنا أن نتساءل: إذا كانت هذه هي صورة اليهودي في الفكر الإنكليزي، فبماذا نفسر مساعدات أميركا وإنكلترا على وجه الخصوص لـ«إسرائيل»؟!

وهنا نجد الإجابة من تأملنا لبعض التراكيب اللغوية في الإنكليزية، وأكتفي في ذلك بمثال واحد لضيق

يفسِّر سبب انخفاض أسعار المواد الغذائية الأساسية في العادة انخفاضاً شديداً لدرجة أن يشتريها حتى هؤلاء الذين تكون هذه المواد بالنسبة لهم ذات قيمة، بينما في فترات نقص هذه المواد فإنها يمكن أن تستبدل بها أشياء عالية القيمة.

لقد أصبح يُنظر للغات باعتبارها وسيط أو أداة إنتاج وإن بدت شبه مستقرة داخل إطار الجماعة اللغوية المعنية، بالنظر إلى أنها ملكية مشتركة للكل، على أن المقارنة بين الجماعات تكشف عن الوزن الاقتصادي المحدد للغات المختلفة.

وتمثل المعاجم حالة خاصة، فهي تتطلب استثمارات أكثر ضخامة من معظم الكتب، ولكنها تعد أيضاً بدخل أكبر وأكثر بقاء، واليوم أصبح إنجاز المعاجم صناعة كبيرة.

ومما لا شك فيه أن من الخطأ الافتراض بأن المعجميين العظماء قد بدأوا عملهم أملاً في الكسب المادي، بل على العكس كانوا يكدحون في ظل تهديد مستمر بالإفلاس المالي.

إن المعاجم هي الحجر الأساس للتهذيب اللغوي وبهذا المعنى، فهي عبارة عن استثمار، مادامت تزود اللغة بالخاصية التي وصفها «كلوس» بأنها القوة الوظيفية للغات الثقافية الحديثة.

وما قيل عن المعاجم يمكن قوله أيضاً بمعنى أوسع عن الترجمة، وحيثما اعتبرت اللغات ثروات اجتماعية، فإن الترجمة يجب أن تفهم باعتبارها استثماراً طويل الأمد من أجل الحفاظ على قيمتها أو زيادتها.

وحيث إن كل ترجمة إلى لغة تضيف قيمة إليها، فإنه يمكن النظر إلى مجمل كل الترجمات إلى لغة معينة باعتباره مؤشراً آخر على قيمتها.

وفضلاً عن ذلك فإن حركة الترجمة إلى لغة معينة تكشف عن مقدار العمل النوعي الذي يمكن لمجتمع ما أن يخصصه لهذا النوع من المهن.

إذن يترتب على الاعتبارات السابقة المتصلة بالمعاجم والترجمة أن قيمة لغة معينة تتحدد في إطار قيمتها أوعلاقتها بقيمة اللغات الأخرى، فاللغات - بتعبير آخر - لها قيمة سوقية، وهي القيمة التبادلية التي تمتلكها لغة معينة بوصفها سلعة أو مؤشراً للإلمام بها من قبل جماعة على اتصال بها مقارنة بلغات أخرى.

إن النظر إلى اللغات بوصفها سلعاً أمر مسوَّغ. بما أن اكتسابها بوصفها لغات أجنبية يتطلب نفقات في العادة على المستويين الفردي والاجتماعي.

ويمكننا أن نحصل أيضاً على مؤشر آخر يعبِّر عن القيمة الاقتصادية للغة معينة، وهو عدد المهنيين الذين تتيح لهم مجالاً للرزق.

والخاصية الأخرى لسلعة اللغة هي أن قيمتها تزداد مع كل متحدث يكتسبها أو تكتسبه، وهذا يشبه تأثير كرة الثلج فيما يتعلق بالمخزون السلعي الرخيص الذي يزداد سعره، لأنه يكتسب قيمة، والذي يكتسب قيمة، لأنه يزداد سعره، فكلما تعلَّم الناس لغة معينة أصبحت اللغة مفيدة، وكلما كانت اللغة مفيدة رغب الناس في تعلمها.

ومن ثم، فإن قيمة لغة معينة يحددها عدد من العوامل التي يسهم كل منها لا في جعل اللغة وسيلة فحسب، بل في جعلها أيضاً عنصراً من عناصر العمليات الاقتصادية.

وقد بيَّن «فلوريان كولماس» في كتابه «اللغة والاقتصاد» أهم الجوانب الاقتصادية للغة، بحيث تشمل على ما يلي:

١ - المجال الاتصالي للغة.

٢ - مستوى تطور الإمكان الوظيفي للغة باعتبارها أداة إنتاج مجتمعية.

٣ - المقدار الكلي للاستثمار الموضوع في اللغة، حيث يمكن للتدوين المعجمي وكثافة شبكة المعاجم ثنائية اللغة التي تربط اللغة باللغات الأخرى والترجمة من اللغة وإليها.

٤ - الطلب على اللغة بوصفها سلعة في السوق الدولية للغات الأجنبية وحجم الصناعة التي تمده.

٥ - رصيد الحساب الجاري للغة بالنسبة لجماعتها اللغوية.

ختاماً أقول إن المعرفة في الوقت الراهن تتقدم ببطء وما أن نمتلك المزيد من المعرفة عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع الاقتصاد، فسوف نكون أكثر قدرة على الاقتصاد في الكلام، وقد آن الأوان لذلك ●

المقام، وهو تقدم الصفة على الموصوف وهذا التقديم في رأيي يعبر عن خلفية فكرية مهمة لأرباب هذه اللغة، فهو يعبر عن أن نظر أصحاب هذه اللغة إلى الصفات يسبق نظرها إلى الذات المتجردة عن الصفات.

وذلك في تصوري يعني أن أهمية المرء تقدر بالنظر إلى صفاته لا بالنظر إلى ذاته كآدمي وكإنسان بصرف النظر عن أي صفة له ككونه «ذا عرق، وذا دين، وذا لغة، وذا ثقافة وحضارة، وذا مال وقوة... إلخ».

بمعنى أن صورة اليهودي في الفكر الإنكليزي كما توضحها دلالات كلمة JEW وإن كانت مدعاة لكراهيته، إلا أنها في الوقت نفسه بالنظر إلى القاعدة اللغوية «تقديم الصفة على الموصوف» مدعاة لمساعدته في إقامة وطن قومي في فلسطين، تخلصاً منه ومن صفاته القبيحة بإبعاده عن الغرب واستغلالاً لصفاته القبيحة في تحقيق أطماع الغرب الاستعمارية، حتى وإن كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان الفلسطيني وسلبه كل حقوقه الإنسانية.

وعلى وجه الخصوص بعد أن نجح الإعلام اليهودي في تشويه صورة الفلسطيني أمام الفكر الإنكليزي حتى غدا من معاني كلمة فلسطيني PHILISTINE في اللغة الإنكليزية كما يقول معجم WEBSTER:

AN INDIVIDUAL GUIDED BY MATERIAL RATHER THAN INTELLECTUAL OR ARTISTIC VALUES

أي: شخص تتحكم فيه المادة أكثر من العقل أو القيم الأدبية.

أو كما يقول معجم OXFORD: UNCULTURED PERSON أي: شخص غير مثقف.

فتعامل الغرب مع القضية الفلسطينية من منطلق نظرته إلى صفات اليهودي القبيحة، وصفات الفلسطيني المزعومة.. لا من منطلق إنسانية كل منهما وحقوقه الإنسانية التي منها محاولة الأخذ بيده لا التخلص منه ولا سحقه.

أما اللغة العربية «لغة القرآن»، فتنظر إلى إنسانية الإنسان قبل أن تنظر إلى صفاته، فتقدم الموصوف على الصفة، فتراعي إنسانية الإنسان قبل أن تراعي أي صفة أخرى لهذا الإنسان، من انتمائه إلى عرق أو ثقافة أو دين مغاير، وهو ما يؤكده تاريخ العرب وواقعهم.

وقد يقال: إن دلالة التركيب اللغوي على سمات خلقية معينة لأرباب اللغة التي تستخدمه ليست قطعية في دلالتها على هذه السمات، فقد نجد أرباب لغات تقدمت الصفة على الموصوف في لغتهم ولم تتقدم في نظرتهم ومعاملاتهم مع غيرهم.

وهذا في رأيي أمر صحيح ولكنه لا يعني بحال الغض من شأن هذه الدلالة رغم أنها قد تتخلف في بعض اللغات، لأنها أيضاً قد تتأكد في لغات أخرى إذا انضمت إليها قرائن من تاريخ طويل، وفلسفات معلنة، وأحداث معاصرة مشاهدة صباح مساء، نعم: إن القرينة لا تدل بمفردها وقد تتخلف أحياناً، إلا أنها أيضاً تتقوى إذا اجتمعت مع قرائن أخرى حتى إنها قد توصلنا إلى علم يقيني - ما أحوجنا إليه - إذا كثرت واستفاضت.

وختاماً أقول: صدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) الحشر:١٤ ●